القسم الأول

..عصر الأكاذيب الأمريكية الكبرى!

obeikan.com

obeikan.com

إنها السياسة.. ياغبي!

كان دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى السابق وأحد الصقور الجارحة فى إدارة جورج دبليو بوش يقول إنه يتفادى تناول قهوة الصباح مع زوجته لأنها كانت تسأله بشكل يومي: أين أسامة بن لادن!

تذكرت هذه الواقعة بينما كنت أقرأ التقرير الذى صدر عن الكونجرس الأمريكى ويُحمل رامسفيلد المسؤولية فى فشل الولايات المتحدة بالإمساك بأسامة بن لادن- الذى قيل إنهم قتلوه بعد ذلك!

ويذكر التقرير أن تقاعس رامسفيلد وقائد القوات الأمريكية فى أفغانستان عن زيادة عدد القوات الأمريكية فى هذا التوقيت(عام ٢٠٠١) هو الذى ساعد بن لادن فى الهرب من صحراء (تورا بورا) فى أفغانستان ليلجأ إلى المناطق الجبلية التى لا تخضع للسلطة الحكومية الباكستانية.

فى اعتقادى أن هذه الانتقادات ستكون مهمة لو جاءت فى إطار محاكمة الإدارة الأمريكية السابقة عما ارتكبته ليس فقط فى حق الأمريكيين بإضاعة أموالهم وقتل أولادهم ولكن أيضا فى حق الشعبين الأفغانى والعراقي.. فلقد قتلت الملايين من الشعبين كما هو معروف، ودمرت الدولتين تدميرا كاملًا وجعلت منحنى كراهية العالم لأمريكا يرتفع نحو السماء..

لكن يبدو لى أن هذا التقرير لم يصدر إلا لكى يدعم إرسال قوات أمريكية إضافية إلى أفغانستان.. بمعنى أنه صدر ليكون عونا للرئيس أوباما على اتخاذ قرار كان وعد بعكسه.. فكلنا يذكر أن الأجندة الانتخابية للرئيس أوباما كانت مُتخمة بالمحاذير ووعود كثيرة منها الانسحاب من أفغانستان والعراق، ووضع حل نهائى

للصراع العربى الإسرائيلي، وبناء علاقات متوازنة مع إيران وتركيا وباقى دول العالم انطلاقا من قاعدة أن العلاقات الدولية تتأسس على المصالح المشتركة والاحترام المتبادل..

لكن بعد مرور عدة أشهر من وصوله إلى مقعدة الرئاسى تنكر أوباما لكل ما سبق أن وعد به.. وأول هذه الوعود الانسحاب من أفغانستان .. ولذلك أرى أن هذا التقرير من الكونجرس لم يصدر (مجانا) ولوجه الحقيقة وإنما ليقدم الغدر لأوباما فى رجوعه مما سبق أن وعد به..

وكلنا يعلم أن أفغانستان عادت واحتلت المرتبة الأولى فى أجندة أوباما وإدارته، وكان لابد من إقناع الناخبين فى أمريكا بهذه العودة أو هذا التراجع. ومن ثم لا مناص من الارتكان إلى الكونجرس..

ماذا يعنى هذا الكلام! يعنى أننا أمام مشاهد مسرحية تلعب بعواطفنا ومشاعرنا، فتارة يتحدث أوباما عن أنه مُخلّص البشرية من أوجاعها.. وتارة أخرى نجده غارق حتى أذنيه فى مستنقع الأوحال كما كان فعل سابقه جورج دبليو بوش.. حقًا لقد تغيرت الأشكال والسياسة الأمريكية الاستعمارية واحدة.. ولذلك كان أهدهم على صواب عندما قال:

إنها السياسة يا غبي!

"الذئب الأمريكي" والحملان "العربية".. "ألم ينته الدرس؟!

فى كل مرة أقرأ فيها تصريحًا (عربيا) تصعيديًا ضد إيران أجدنى أتمتم فى سرى قائلًا: إلى متى سيظل العرب سذجًا يبتلعون الطعم.. فإيران ليست عدوة لنا فلماذا كل هذا التجييش والعدوانية ضدها؟

واعترف أن هذا السؤال الذى يُلح على خاطري- ليل نهار- هو مُحصلة قناعة فؤادها أننا فى المنطقة العربية نأخذ مواقف لحساب غيرنا، فإيران منذ عدة عقود تعيش حالة استعداء كاملة ضد أمريكا، وربما لديها مبرراتها الخاصة، فإيران الثورة ليست هى إيران الشاه.. وكلنا يذكر أزمة الرهائن فى السفارة الأمريكية فى طهران والتى شغلت العالم لفترة طويلة.. ثم قائمة الاتهامات المطولة التى توجهها واشنطن- طوال الوقت- لطهران وكلها تدور حول أن إيران هى حاضنة الإرهاب وممولته فى آن واحد..

أريد أن أقول إن أسباب العداء متوفرة بين الجانبين، وليس هذا الحال بالنسبة للعرب والإيرانيين.. أما إذا أضفنا إسرائيل إلى المعادلة لاكتشفنا أن النيران مشتعلة بشكل مستمر بين تل أبيب وطهران، فالأولى ترى إيران رأس الشر فى منطقة الشرق الأوسط، بينما تذهب الثانية إلى أن إنقاذ المنطقة من القلاقل والاضطرابات لا يتأتى إلا بسحق إسرائيل أو إلقائها فى البحر!!

إذا كان ذلك كذلك، فالعرب لا ناقة لهم ولا جمل فى القضية برمتها سّيما إذا استعدنا إلى الأذهان علاقة الجوار شبه الهادئة مع إيران.. الدولة الإسلامية الكبرى، والقوة الإقليمية المهمة..

صحيح هناك مشكلات مثل مشكلة الجزر الثلاث الإماراتية:

طنب الكبرى، وطنب الصغرى، وأبو دوس، لكنها من ذلك النوع الذى يقبل الأخذ والرأى والتحكيم.. وهو أمر لا ترفضه فى كل الأحوال إيران..

المهم إذن هو السؤال التالي:

لماذا تنزلق بعض التيارات السياسية العربية وتتصرف من منطلق أن إيران عدوة لنا مع أنها ليست كذلك؟ الغريب أن هذه الأكذوبة تنطلى على بعض لتيارات مع أن استقراء جملة الوقائع القريبة والبعيدة يؤكد أن المستفيد من التوتر بين إيران والعرب هى أمريكا وإسرائيل.. ولعل ما ذكره زعيم المعارضة الإسرائيلية – فى ذلك الوقت – بنيامين نيتانياهو فى محاضرته الأخيرة بجامعة بارا يلان يؤكد ذلك بشكل مباشر.. فقوله إن إسرائيل استفادت كثيرا من واقعة الهجوم على البرجين التوأم والبنتاجون فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ يعنى أن تقسيم العالم إلى إرهابيين (ومن بينهم إيران والعرب من جانب) وضحايا ومن بينهم أمريكا والغرب وإسرائيل من جانب آخر قد صب فى النهاية فى صالح إسرائيل..

ومعلوم أن واشنطن قد وجهت اتهامها إلى صدر طهران برغم أنها تدعم تنظيم القاعدة وزعيمه أسامة بن لادن كما سبق أن وجهت نفس الاتهام إلى صدر صدام حسين..

ولئن كانت خاضت بنفسها حربها (الاحتلالية) ضد العراق وتكبدت فيها الخسائر الضخمة (عددًا وعتادا) فهى لا تريد أن تكرر خسائرها أو تضاعفها فى حرب تريدها بالفعل مع إيران لذلك تسعى جاهدة إلى تهيئة أجواء الحرب فى منطقة الشرق الأوسط وتوفير كافة العناصر لإشعالها، لكن بشرط أن يحترق بنيرانها العرب وليس الأمريكيين..

أعنى أن نية ضرب إيران قائمة لكن أداة التنفيذ هنا لن يكون المارينز الأمريكى كما حدث فى العراق وإنما المارينز العربى إن صح التعبير..

وكلنا بعلم أن أمنية إسرائيل هى أن تحترق إيران وكل الشيعة فى المنطقة، لذلك تكثّف كل جهودها الدبلوماسية والسياسية والعسكرية لدفع الدول العربية باتجاه التصادم مع إيران فزيارة السيدة ليفنى- وزيرة الخارجية الإسرائيلية وقتئذ لقطر ومشاركتها فى مؤتمر الديمقراطية والتنمية الذى انعقد فى الدوحة وحديثها- فى لقاءات عامة وخاصة- عن إيران باعتبارها الشيطان الذى يقض مضاجع الحكومات والشعوب فى المنطقة.. هى امتداد للزيارة التى كان قام بها إلى المنطقة الرئيس الأمريكى وتحدث فيها عن أبلسة طهران وتحميلها مسؤولية عدم الاستقرار بدعمها للإرهاب والإرهابيين..

وسوف تكون أيضا (مقدمة) للزيارة المرتقبة التى سيقوم بها الرئيس الأمريكى ثانية فى محاولة (إصرارية) على استعداء المنطقة العربية والدول الخليجية ضد إيران..

إذن الأطراف المتصارعة تتناور تحت الشمس وهي: أمريكا وإسرائيل وإيران.. ومن ثم لا فكاك.

من طرح السؤال: لماذا نتورط فى هذه الأزمة مع أننا لسنا طرفا فيها؟ ولماذا لم نستفد من الحرب العراقية- الإيرانية التى غرر فيها الأمريكان بصدام حسين وأقنعوه بأن عليه أن "يتغذى بإيران قبل أن تتعشى هى به" فكانت النتيجة حربًا بلا هوادة استمرت نحو ثمانى سنوات خسر فيها الطرفان العراقى والإيرانى الكثير..

وكأنى أرى بأم رأسى أن هذه الوقائع تتكرر بتخطيط أمريكى إسرائيلي. فإشعال الحرب ضد إيران فى المنطقة لن يربح منه غير الأمريكان والصهاينة كما ربحا من مؤامرة ضرب البرجين فى ١١ سبتمبر.

وعلى طريقة الأسئلة العنقودية أجدنى أقاوم سيلًا من الاستفسارات: لماذا لم نفطن بعد إلى مؤامرات أمريكا وإسرائيل. ولماذا نبتلع الطعم المّر ونظنه عسلًا مُصّفى، ولماذا ننجرف إلى حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل..

صحيح إن هناك توترا فى المنطقة، لابد أن نعترف بذلك- لكنه التوتر الناجم عن المجاذر الإسرائيلية وقتل واغتيال وتجويع الفلسطينيين.. والناجم أيضا عن زرع الفتن بين الأشقاء فى لبنان وسوريا- أما احتلال أمريكا الغاشم للعراق، فهو السبب الأكبر والمصيبة الأعظم فى آن.

ما قاله نيتانياهو عن أرباح إسرائيل الطائلة من وقوع أحداث ١١ سبتمبر بذكرنا بما سبق أن قاله الكاتب الفرنسى تيرى ميسان فى كتابة الشهير (الخديعة الكبرى) وهو أن هذا الحادث صناعة أمريكية، لخلق ذريعة لغزو العراق، والسيطرة على نفطه وماله ومقدراته كدولة قوية فى المنطقة.. وخلق المبرر لدخول إسرائيل فى ثوب (البيزنس) والتعمير، والتصويب والإنقاذ إلى بغداد وباقى المدن العراقية.. والأهم هو أن الإرهاب أصبح إكليشيهًا تختم به أمريكا (وإسرائيل) كل التحركات أو الاضطرابات..

فأسامة بن لادن هو الفزاعة التى يجب استخدامها لإلقاء الرعب فى قلب هذه الدولة، أو تلك..

أريد أن أقول- خلاصة- إن إيران دولة إسلامية وجارة لنا، ويمكن أن تتكفل آليات الحوار بفض أية منازعات حدودية معها..

وليس هناك مبرر لاستمرار مقاطعتها أو إعطائها ظهورنا وأجزم بأن المصلحة القومية للدول فرادى ومجتمعين تفرض مّد الأيدى نحوها..

وكفانا سذاجة عندما نستعدى الأصدقاء ونؤلب علينا المحايدين.. ولئن كان نفس منطق المصلحة يدفع بعض الدول فى المنطقة لفتح طرق دبلوماسية مع دولة محتلة لأراضينا العربية فى فلسطين (أقصد إسرائيل).. فكيف نعطل نفس المنطق مع دولة إقليمية بارزة بحجم إيران..

باختصار: أتمنى أن يبرأ العقل السياسى العربى من انغلاقه وسذاجته فما هو عدو لأمريكا وإسرائيل لا يجب أن يكون عدونا.. وليتنا نتعلم درس العراق فى زمن

صدام حسين الذى كان أكثر من حليف للغرب ثم التهمة الذئب عندما دعت الحاجة إلى ذلك.

إخوة العرب.. ألم ينته الدرس بعد؟!

obeikan.com

بدعوى "نشر الديمقراطية"
السفارات الأمريكية تدير شؤون
٤٥ دولة!

منذ الآن فصاعدا سوف تتحول السفارات الأمريكية فى نحو ٤٥ دولة إلى "مراكز قيادة" تحكم العالم وتدير شؤونه، وعلى الحكومات الوطنية فى هذه الدول أن تقبل هذا الحال، وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور لها..

هذا على كل حال ما يتضمنه مشروع القانون الأمريكى الذى يتبناه الكونجرس تحت عنوان "نشر الديمقراطية بحسب وجهة نظر الرئيس السابق جورج دبليو بوش الذى كان يرى أن لأمريكا رسالة تبشيرية وتنويرية وديمقراطية لابد أن يقبلها العالم صاغرًا.

الغريب أن هذا القانون (الذى يُعد الأول من نوعه فى الاستعداد ومصادرة حق الآخر فى التعبير عن نفسه) ينص على أن تُسند آلية تنفيذ هذا القانون إلى السفارات الأمريكية التى سيكون من صلاحياتها أن تفتح أبوابها لعقد لقاءات مع ممثلى المجمع المدنى المؤيد للديمقراطية، وتكليف أعضاء السفارات الأمريكيين بإلقاء محاضرات فى الجامعات حول نشر الديمقراطية وترسيخ مبادئ حقوق الإنسان.. باعتبار أن السفارات تصبح- والحالة هذه- جزرا أو مراكز إشعاع للديمقراطية.

كما سيكون من اختصاص السفارات الأمريكية أن تفرز التحالفات مع التيارات الديمقراطية فى العالم للترويج بشكل أفضل لما يعرف "بالقيمّ المشتركة" وهى الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، وسيادة القانون والمحقق أن هذا القانون يأتى فى إطار جملة القوانين التى تستهدف منها أمريكا إحكام قبضتها على العالم، وتبرير

تدخلاتها الدبلوماسية والعسكرية فى الدول التى تعتقد هى أنها "مارقة" ولا تقبل الانصياع والتبعية لساكن البيت الأبيض.

والمعروف أن الدبلوماسية الأمريكية تعمل منذ الولاية الأولى لبوش الأبن وفق خطة مزدوجة، طرفها الأول هو استخدام الإرهاب "كفزاعة" تخيف به كل الدول (وخصوصا الدول الحليفة فى أوروبا القديمة) لتضمن بذلك خضوعها التام لإرادتها، وسهولة تحقيق حشد دولي. فى القضايا الدولية الملتهبة..

ولاشك أن حرب العراق وما صاحبها من ملابسات قد وفرت المناخ الملائم الذى جعل "أوروبا" خاتمًا فى أصبع الإدارة الأمريكية أو جعل قادتها بحسب تعبير لوموند الفرنسية أشبه بوزراء فى الحكومة الأمريكية يأتمرون بأمرها.

ومن تجليات هذه الدبلوماسية أن أوروبا لم تر حرجا من أن تعلن قبولها- طواعية- دخول بيت الطاعة الأمريكي.

كما ظهر فى الكلمات المتبادلة تبين قادة أوروبا (فى بروكسل) والرئيس جورج دبليو بوش أثناء زيارة الأخير لعاصمة الاتحاد الأوروبي..

الطرف الثانى من هذه الخطة المزدوجة هو إخفاء الطموح (أو المطامع) الاستعمارية الأمريكية تحت ستار دعاوى نشر الديمقراطية فى العالم وكأن أمريكا "رسول" بعثته العناية الإلهية ليعلم شعوب الأرض كيف تكون الديمقراطية.

وغاب عن بال قادة أمريكا أن قانون نشر الديمقراطية (زائف) ولن ينطلى على شعوب العالم لأنها ديمقراطية مدججة بالسلاح (وقادمة على رأس دبابة) فضلًا عن أنها ملطخة بدماء الأبرياء والمعذبين فى أبو غريب بالعراق (جوانتانا مو فى كوبا) فضلًا عن أن أحدًا فى العالم لا يقبل ديمقراطية المارينز الهابطة من علٍ بكلمة أخرى: إن قانون نشر الديمقراطية الذى يتحمس له ديمقراطيون وجمهوريون فى الكونجرس الأمريكى هو قانون سيئ السمعة لأنه يخفي- فى طياته- المشروع الامبريالى الخبيث المعروف باسم الشرق الأوسط الكبير، الذى بدأت حبات

مسبحتة نكر فى العراق، ثم ها هى تنتقل اليوم إلى سوريا فإيران، وبقية المنطقة الغريب أن أمريكا لا تقر القادة فى هذه الدول الـ٤٥ التى يستهدفها القرار أى اهتمام، لأن درس نظام صدام حسين سوف يظل شاخصًا فى الأذهان لأحقاب زمنية متتابعة..

ولذلك أرادت بقرارها الخاص بمشروع نشر الديمقراطية أن تسحب البساط من تحت أقدامهم لتجعل من سفاراتها ودبلوماسييها "البديل الأقوى" لإدارة دفة الحكم فى هذه البلدان.

يبقى أن نذكر أن عملية نشر الديمقراطية فى العالم ليست إلا أكذوبة جديدة تروج لها الأبواق الدعائية الأمريكية أو المتأمركة فى منطقتنا العربية لتبييض وجه أمريكا المكلل بسواد الحقد والكراهية فى كل أنحاء العالم.. لكن هيهات!!

..إنها الاستخبارات يا!

فى زمن الرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون كان الشعار المرفوع- والذى يعكس التوجهات السياسية لأمريكا- هو: إنه الاقتصاد.. يا غبي! فى إشارة إلى إعطاء واشنطن أولوية قصوى لقضايا الاقتصاد، والتجارة..

أما حاليا وانطلاقا من أن لكل عصر مقولاته وأهدافه- فإن الشعار الذى كان رفعه المحافظون الجدد فى الولايات المتحدة وتكرسه الأحداث الدولية يوما بعد يوم فهو: إنها الاستخبارات.. يا غبي!

هذا ما تذكره- على كل حال- صحيفة لوموند الفرنسية فى تعليقها على اختيار ينجروبونتى سفير أمريكا السابق فى العراق رئيسًا لأجهزة المخابرات الخمسة عشر وقوله عند تسليمه مقاليد المنصب الجديد إنه قادر على أن يجعل هذه الأجهزة (جميعا) فى خدمة القرار السياسى الأمريكى (بما يوفره بالطبع من بيانات ومعلومات عن كل كبيرة وصغيرة فى العالم)..

والحق إن تعقد الحياة السياسية فى العالم، وتشابك- بل وتضارب فى أحايين كثيرة- المصالح بين الدول وامتلاك دول عديدة لأسلحة فتاكة، جعل التنافسية الدولية تتجه إلى حقل الاستخبارات انطلاقا من الإيمان بأن يملك المعلومة .. يملك العالم!

ولذلك اتجهت أمريكا- التى تريد أن تحتكر القرار الدولى فى القرن الحادى والعشرين- إلى التفوق فى هذه النقطة تحديدا، فاختارت قياديها من المبرزين فى المسألة الأمنية والإستخبارية، وقامت بتوظيفهم فى المواقع السياسية المختلفة.. فجورج تينيت رئيس المخابرات الأمريكية السابق قام بعدة مهمات سياسية فى منطقة

الشرق الأوسط.. وكونداليزا رايس مهندسة السياسة الخارجية الأمريكية الحالية كانت تشغل- فى الولاية الأولى للرئيس بوش- موقع مستشارة "الأمن" القومي.. وأثنى عليها الرئيس بوش عند ترشيحها لترأس وزارة الخارجية بقوله: إنها وطنية وغيورة، ولم تتدخر وسعًا فى توفير كافة "المعلومات" التى تساعد متخذى القرار فى البيت الأبيض.

إذن إنه عصر الاستخبارات (بامتياز). وكل الشواهد تدل على ذلك. فها هى واشنطن تعترف بأنها كانت أطلقت كتيبة من الجواسيس لاختراق إيران ومعرفة المواقع التى تتركز فيها مفاعلاتها النووية، ومحتويات هذه المفاعلات، ورسم خريطة دقيقة لهذه المواقع حتى يتسنى ضربها فى حال اعتماد الأسلوب العسكرى فى حسم الخلاف الأمريكي- الإيراني.

وتحدثت مجلة الإكسبريس الفرنسية عن "منهج الجوسسة" الذى تتبعه الإدارة الأمريكية فى تعاطيها مع الأزمات الدولية، وتعنى به منهج زرع الجواسيس فى كل مكان لالتقاط المعلومات (الأقرب إلى الدقة) وذكرت أنه يستهدف إضعاف الخصم، فكل معلومة صحيحة تصل عن الخصم- أى خصم-هى بمعنى ما انتقاص من قوته!

وقبل فترة صدر كتاب بالفرنسية بعنوان: (عين أمريكا) يكشف أن أجهزة الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية تعملان وفق إستراتيجية واحدة تستهدف- فى النهاية- معرفة كل شيء يدور داخل منطقة الشرق الأوسط- وذكر الكتاب الذى وضعه خبير سابق فى جهاز الC.I.A الأمريكى أن إسرائيل لجأت إلى ألمانيا لمساعدتها فى التعرف على الأماكن التى يتردد عليها الفدائيون الفلسطينيون للتخطيط وضرب العمق الإسرائيلي..وجرى الاتفاق بين إسرائيل وألمانيا كالتالي: أن تتبرع ألمانيا بأجهزة كومبيوتر للسلطة الفلسطينية شرط أن يتم استخدامها فى مكاتب تحصيل فواتير المياه والكهرباء فى الأراضى المحتلة.

وقد تم ذلك بالفعل بدعوى أن ألمانيا تشارك فى تحديث شبكات المياه والكهرباء.. لكن الهدف لم يكن إلا شيئا آخر هو معرفة أماكن اجتماعات الفدائيين التى تدل عليها الفواتير التى تتضمن أرقامًا استهلاكية ضخمة..

ومن خلال (تقنيات معينة) مدسوسة فى أجهزة الكومبيوتر تُنقل هذه البيانات إلى ألمانيا ثم إلى إسرائيل التى تباغت الفدائيين بضربات مفاجئة (ما كان يمكن أن تحدث لولا هذه المعلومات التى جاءتها بهذه الطريقة الاستخباراتية الدقيقة).

ولسنا فى حاجة أن نذهب إلى بعيد، فأمريكا التى لا تريد لها شريكا فى قيادة العالم اليوم، لم تتردد فى زرع جواسيس لها داخل مناطق عديدة فى أوروبا.. وفضيحة شبكة ايشلون" الشهيرة ليست بعيدة عن الأذهان والتى بمقتضاها ترصد واشنطن كافة الشركات وتتنصت على جميع المكالمات وتلتقط أغلب الاتصالات ثم تقوم بتبويبها وتصنيفها لتكون رصيدا إستراتيجيا لا عند الحاجة لها فى صراعها مع أوروبا التى تريد أن تزاحمها فى "كابينة" القيادة فى العالم..

يبقى أن نذكر أن ما حدث (ويحدث) فى لبنان لم يخرج عن دائرة الاستخبارات فرغم أن حادث اغتيال الحريرى قد زلزل- وما يزال- الأرض السياسية فى لبنان والمنطقة، إلا أنه- فى الأصل- ليس إلا عملًا استخباراتيًا ..

وما تنحية الرئيس السورى لرئيس جهاز المخابرات ليحل محله آخر شوكت إلا دليل قاطع على أن القراءة الصحيحة للأحداث السياسية فى المنطقة (والعالم) باتت قراءة استخباراتية (أمنية) بالضرورة.

وأخيرا هل يمكن أن تقول مع صحيفة لوفيجارو الفرنسية أن القرن الحادى والعشرين سيكون قرنا استخباراتيا وأن المنافسة بين الدول (الراغبة فى الهيمنة الإقليمية والدولية) لن تكون فى العتاد والأسلحة وإنما ستكون فى مجال الأجهزة الأمنية، ومراكز الأبحاث التى أصبحت تنتشر كالفطريات فى عصرنا الحالي..

أمريكا.. الإمبراطورية التى لا تعرف الكذب!!

لا لن أصدق يوما أن أمريكا أخطأت عندما أصدرت قرارها- بعد دخول بغداد- بحل جيش صدام حسين بكافة تشكيلاته.. فإن دولة بحجم الغوريلا الضخمة التى يبلغ وزنها ١٠ آلاف رطل!. وطموحها أن تتربع على عرش العالم وتمتد إمبراطوريتها لتشمل الدنيا بأسرها لا يمكن أن تخطئ بمعنى أن كل خطواتها مدروسة، ومخطط لنتائجها (الكبيرة والصغيرة) سلفًا..

فتسريح جيش صدام مقصود لذاته حتى لا تتكشف المؤامرات والخيانات التى جرت بين قياداته وفصائله من ناحية، وحتى يحمل كل جندى سلاحه معه وهو عائد إلى بيته ليستخدمه فى لحظات التوتر والاحتقان وما أكثرها لاحقًا.. وهو ما يحدث اليوم، فالتفجيرات التى تقع هنا" "وهناك".. والحصاد الدموى الذى يملأ الأرجاء هو النتيجة الطبيعية لوجود الأسلحة والقنابل حلالًا زلالًا فى أيدى الجميع..

وقبل فترة ذكرت التقارير أن هناك أكثر من خمس ملايين قطعة سلاح منتشرة بين فئات الشعب. وهى تمثل- والحالة هذه- العنصر الأهم فى الصراع الجارى فى العراق، فما دام السلاح متوفرا، فالقتل (وسفك الدماء) سيكون أمرًا مُستباحًا.. بل إن مناخ الحرب الأهلية سيكون على أهبة الاشتعال..

ولعل هذا ما كانت ترمى إليه واشنطن على وجه الخصوص- عندما قررت حل الجيش العراقي.. لأن الانفلات الأمنى المتوقع، والخوف من نشوب حرب أهلية بين طوائف الشعب الأساسية (السُنية والشيِّعية والكردية) سوف يدفعان بعض الأحزاب السياسية، بل وبعض دول الجوار فى المنطقة العربية لدعوة أمريكا إلى عدم سحب قواتها من العراق خوفا من انقلاب الوضع إلى "فوضى!" وهذا ما تم بالفعل

حيث حذرت أكثر من دولة عربية من حدوث السيناريو الأسوأ "فى حال انسحاب قوات "المارينز" الأمريكية من العراق..

ولقد طربت واشنطن لسماع مثل هذه التحذيرات العربية واستخدمتها- إعلاميا- لتؤكد للرأى العام الأمريكى أنها ليست قوات احتلال، وإنما هى صمام أمان للشعبين العراقى والأمريكى معًا..

وهكذا تضاف "أكذوبة" أمريكية جديدة إلى الأكاذيب الأخرى التى تملأ الآذان، وتروجها الميديا الأمريكية (أو المتأمركة) ليل نهار حتى يختلط الأمر على الجميع ويظنونها حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!

بمعنى آخر لا يجب الاعتقاد بأن أمريكا (سيدة العالم!) قد فات عليها شيء، أو غمض على إدراكها أمر، أو أخطأت التقدير فى قضية، لأننا إذا علمنا- بحسب التقارير- أن خطة غزو العراق كانت معّدة سلفا قبل وقوع الحرب بنحو عامين، سيكون صعبًا علينا تصديق أنها أخطأت، أو أنها تريد أن تعتذر..

وتقفز إلى ذهنى الآن العبارة التى نطق بها الرئيس الأمريكى السابق جورج دبليو بوش والتى توعد فيها منطقة الشرق الأوسط "بحرب صليبية" ردًا على أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التى اتهم فيها العرب بأنهم مدبروها، والقائمون عليها..

نذكر جميعا أن نفرًا من رجال مكتبه حاولوا تخفيف هذا الوعيد عندما هاجت وماجت دوائر وأوساط عربية لاستخدام بوش الابن كلمة "حرب صليبية" لما تعين من موروث عدائى بين الغرب والعرب، أو بين الإسلام والمسيحية فى العصور الغابرة..

ومجمل :القول إن الرئيس الأمريكى لم يخطئ وإنما تحدث عن أمور يشعر بها، ويحسب لها ألف حساب.. لأن التصريحات التى سبقت ذلك كانت تهديده للعالم أجمع وتخييره بين أن يقف إلى صف أمريكا وإلا فسيعتبر واقفا فى صف الإرهابيين.

إذن نحن أمام موقف أمريكى محدد ومعروف الأبعاد، فهو معادٍ للجميع ومستعد بالفعل لإعلان حرب صليبية عليهم فعلًا لا قولًا، ومن ثم حاجة إلى اعتذار..

والحق إن الاعتذار "كلمة لا يعرفها قاموس رجال السياسة الأمريكية، هذا ما قاله – على كل حال- جورج بوش الأب عندما كان نائبًا للرئيس الأمريكى فى عام ١٩٨٨، فى سياق إسقاط طائرة ركاب إيرانية بواسطة سفينة أمريكية مما أدى بحياة ٢٩٠٠ شخصًا .. والشيء نفسه يمكن أن نلمسه من أقوال أحد صقور الإدارة الأمريكية فى إدارة جورج دبليو بوش الأولى وهو كولن باول..عندما سئل ذات عن عدد العراقيين الذين قتلوا فى حرب الخليج الثانية التى كان يشغل فيها منصب رئيس هيئة الأركان المشتركة فأجاب (باول):

فى الواقع، إنه عدد لا أهتم به كثيرًا.

ولم يلق الجنرال (طيب القلب) بالًا لما فى إجابته من استخفاف وسخرية قد توغر صدور كل من يسمعها!!

إنها أمريكا التى تمتلئ جعبتها (بالغطرسة والأنانية) منذ زمن وكأنها ميراث يحملها الأمريكيون على ظهورهم وفوق أعناقهم.. فها هو الرئيس ريجان يعلق فى لا مبالاة على تصويت الأغلبية فى الأمم المتحدة على قرار يدين غزو أمريكا لجرينادا فى أمريكا اللاتينية فيقول فى تهكم:

يقولون إن ١٠٠ دولة فى الأمم المتحدة اعترضت على ما فعلناه فى جرينادا. ألا فليعلم الجميع أن هذا الخبر عندما بلغنى لم يحرك فى شعره، بل لم يكدر صفو فإفطارى الصباحى الذى كنت أتهيأ لتناوله!!

إذن نحن أمام دولة تعرف ماذا تفعل، وماذا تقول إذا سئلت عن سلوك آتته. فهكذا كانت تردد مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة وترى أن العالم مُضطر أن يرضخ للإرادة الأمريكية، لأن أمريكا- من وجهة نظرها- هى الأمة الضرورة،

والبديل لها هو الفوضى..

وكانت تقول أيضا: إن أمريكا قد تتحاور فى بعض الأمور مع حلفائها، لكن فى ساعة الضرورة تتصرف بمفردها..!

وهذا معناه أننا أمام دولة كبرى (أو دولة عظمى) تُعد العدة لكل شيء، وتضع حسابات دقيقة لكل تصرف..

وبالتالى فأى حديث عن أخطاء أو اعتذارات.. لا معنى له اللهم إلا إذا كان من قبيل التمويه أو التعتيم وهذا- فى أفضل الظنون- هو ما تريده أمريكا، فالفيصل عندها ليس ما تقوله هى عن نفسها، ولكن ما يقوله الآخرون عنها، لذلك تدس بين وقت وآخر أنباء ليرددها الجميع وكأنها حقائق مع أنها ليست كذلك مثل ما يُقال عن أنها أخطأت بحل جيش صدام مع أنها لم تخطئ، وإنما سارت الأمور وفق مُخطط محتوم يخدم إستراتيجيتها الاستعمارية أولًا وأخيرًا.

وأمريكا تخاف أيضا!

سألت نفسى مرة: لماذا تهتم أمريكا- وهى القوة الأعظم فى عالم اليوم بإصدار صحف، وإطلاق إذاعات وفضائيات (باللغة العربية) هل- حقًا- لأنها صاحبة رسالة تنويرية كما كان يزعم الرئيس الأمريكى السابق جورج دبليو بوش فى أكثر من مناسبة. أم لأنها- من منطلق شعورها بالتسيّد والتميز تسعى إلى فرض رؤاها فرضا تارة باسم "العولمة" وتارة أخرى باسم "الكوكبة، ومنطق السوق الحرة!"

فى الواقع لم تجد هذه الإجابات المختلفة "صدى" فى نفسى ليس فقط لأنها غير مقنعة، ولكن أيضا لأن الاهتمام السياسى الأمريكي" بقضية التواصل شعبيا مع المنطقة العربية يتجاوز حدود الاهتمام العادي. وهو ما جعلنى أربط ذلك- رغما عني- بمسارين جديدين تشهدهما حركة الأحداث فى السياسة الدولية فى الآونة الأخيرة..

- **الأول** يتعلق بموجات الكراهية المتلاحقة لكل ما هو أمريكى والتى تجاوزت حدود المنطقة العربية لتصبح ظاهرة عالمية..

- **والثانى** ظهور حركة شعبية عالمية مناوئة للهيمنة الأمريكية كانت شرارتها الأولى فى "سياتل" ثم انتقلت لتغطى مدنا كثيرة فى العالم (مثل جنيف وبراج، وجنوة، وباريس وبكين، ومونتريال، وهانسبرج)..

وباتت المشاركة الأمريكية فى أى مؤتمر دولى (فى منظمة التجارة العالمية أو صندوق النقد الدولى أو البنك الدولى أو مجموعة الـ٨ الكبار) تُصاحبها- بالضرورة- مظاهرات مناهضة "لعمالة أمركة العالم"

المعروف أن هذه المظاهرات الرافضة (أو الكارهة) لمنطق "السيد والعبد" الذى تفرضه أمريكا على العالم يزداد عنفوانًا يوما بعد يوم فى ظل تنامى المنظمات الأهلية (غير الحكومية) وحركات المجتمع المدنى العالمي..

لذلك لم يتردد قادة أمريكا فى رصد ملايين الدولارات بهدف تحسين صورة أمريكا فأنشأت فى المنطقة العربية فضائية الحرة "وأطلقت راديو سوا" وأصدرت مجلة "هاي" وتدعم- فى الوقت ذاته صحفًا عديدة بمسميات مختلفة لكنها تشترك جميعا" فى الهوى الأمريكى الغلاّب.

المعنى المقصود أن أمريكا لا تخشى حكومات العالم قاطبة لأن القيود والضغوط، والاتفاقات الموقعة مع كل حكومة على حدة تجعلها تأمن شرها تماما خصوصا أن بقاء غالبية هذه الحكومات على مقاعد السلطة فى بلادها"مرهون" برضا وارتياح قلب "سيدة العالم" أما ما لا يؤمن بشرها حقًا فهى الشعوب التى يخشى أن تتحول بتأثير الكراهية والغضب- إلى جلمود صخر عاتٍ، يهبط فيهشم رأس الوحش الأمريكي..

الدكتوراه الأمريكية ب٣٠ ألف جنيه فى السوق المصرية!!

اتصل بى شخص عراقي- أعرفه منذ فترة- وقال مُعاتبًا: انتظرت أن تتصل بى لتهنئتى على حصولى على درجة الدكتوراه، فلم يحدث، فهل أغضبتك فى شيء ؟

قلت على الفور: أعوذ بالله، ولماذا أغضب منك يا أخي.. لكن قل لى بربك: متى حصلت على هذه الدرجة الميمونة "الدكتوراه" وما الجامعة التى منحتك إياها؟ فضحك مُحدثي، وقال وهو يبلع ريقه فرحًا منتشيا: لقد حصلت على درجة الدكتوراه من إحدى الجامعات الأمريكية..وأضاف: لعلك سوف تنهدش لأنك تعلم أننى لا أجيد،"بل لا أعرف اللغة الإنجليزية بما يسمح لى أن أعد أطروحة بحثية بحروفها..

وعندما زاد فضولي، التقيت صديقى العراقى الذى يستوطن مصر منذ أكثر من عامين، وشرح لى تفاصيل هذه الفضيحة، قائلًا: جئت إلى القاهرة برفقة زوجتى لإعداد أطروحتين للدكتوراه فى جامعة القاهرة أو جامعة عين شمس، وكان الأمل يملؤنا والتفاؤل يُكحل أعيننا، القاهرة هى عاصمة الثقافة والفنون العربية "شاء الآخرون أم أبوا!" وجامعات مصر هى الجامعات الأعرق والأكثر شهرة، وتكتظ بالدراسين، الذين يأتونها من كل فج عميق.

فشاءت أقدارى أن التقى شخصًا حوّل مسارى وأخذ لى موعدًا مع شخص ملتح تبدو عليه ملامح الثراء والارتياح، ويركب سيارة فارهة.. ثم أوفدنى إلى شخص ثالث يلبس جلبابا قصيرا، ويطلق لحيته وشاربه فى غير اعتناء، وأخذ "الرجلان" يحدثانى عن جامعة "كذا" الأمريكية، التى تنظم محاضرات وتعقد الندوات، ويدير شؤونها فى مصر والشرق الأوسط مكتب ضخم، مُلحقة به مكتبة

كبيرة، تستقبل الباحثين وتوفر لهم المراجع والاتصالات، وتنظم لهم وقتهم وتأخذ لحسابهم "مواعيد" مع الأساتذة، الذين يشرفون على رسائل الدكتوراه التى تُكتب باللغة العربية!!

وأقسم لى محدثى بأنه ظل ينتظر طويلًا.. طويلًا المحاضرات، أو الندوات.. وأخذ يترقب اللحظة التى سيلتقى فيها الأساتذة، فلم يحدث شيء من ذلك، فرأى أن يعتمد على نفسه وأخذ يذهب إلى مكتبات القاهرة ومبارك، والإسكندرية.

وأوهمه الشخصان الملتحيان أن لجنة البحث العلمى ستعلن رأيها فى رسالته، ولكن بعد أن يدفع خمسة آلاف دولار جملة واحدة "أى حوالى ٣٠ ألف جنيه مصري".. وبعد أقل من أسبوع، أتوا له بروب جامعي- "صنع فى الصين!" وألبسوه إياه، ثم قام الشخصان برفقة ثالث بتصفيف لحيته وشعره، وفى أحد نوادى هيئة التدريس بجامعة مصرية، دارت مناقشة- أو ما يشبه المناقشة، ثم فوجئ صديقى بأن لجنة المناقشة- بحسب منطوق الحكم- منحته درجة الدكتوراه بتقدير امتياز.

والأخطر أن هذا الأمر حدث مع زوجته بعد أن دفعت المبلغ، ولا يزال يتكرر يوميًا، حتى يقال إن إحدى هذه الجامعات منحت الدكتوراه لنحو ١٢٠ شخصًا عربيًا مؤخرا. وهو ما نراه جريمة تنال من مصداقية مصر العلمية.. ألا يكفينا أن حامل الشهادة المصرية- فى الطب مثلا- يضطره صاحب العمل فى دول الخليج لأن يدخل امتحانًا للتأكد من أنه طبيب حقيقى وليس مزيفًا!!

ثم علمت ما هو أفدح وهو أن السوق العلمية المصرية توجد بها عدة جامعات أمريكية "صورية على الأرجح" تمنح درجاتها "الماجستير والدكتوراه" لمن يدفع!

وفى التحليل النهائى سيُقال إن مصر هى التى تمنح الدكتوراهات وليس أمريكا.

الغريب أن صديقى العراقى يتصور أنه أصبح بالفعل "دكتورا" وأن شهادته تتساوى مع شهادات الجامعة المصرية وأنها تسمح له بالعمل الأكاديمى فى مصر

والدول العربية.. أقسم بأننى أخذت أضرب كفا بكف، وأحوقل وأستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، وتذكرت الشيخ مصطفى عبد الرازق، الذى كتب أشطارًا من معاناته الاغترابية فى باريس، عندما كان يتلقى العلم فى جامعتها العريقة "السوربون" وكذلك عميد الأدب العربى فى الجزء الثالث من الأيام.. والسنهورى باشا، والدكاترة زكى مبارك، وكم تعذب هؤلاء فى معرفة اللغة الفرنسية وآدابها.. وقلت: ألا رحم الله الطهطاوي، الذى جدد واجتهد وعاد بفكر جديد وتراجم ومأثورات غيرت وجه مصر.

وعقدت مقارنة بين هذه القامات التى سبقتنا وبين هذه التفاهات التى تعيش بين ظهرانينا.

وقلت على سبيل الدعابة: إذا لم يذهب محمد إلى الجبل ذهب الجبل إليه وأعنى إذا لم يذهب الطلاب إلى جامعات أوروبا وأمريكا، ذهبت الجامعات إليهم.. إنها كارثة علمية.. "الدكتوراهات" أعلى درجة أكاديمية، دخلت سوق المزاد، وأصبحت تُباع بجميع العملات، والقائمون عليها تحوم حولهم الشبهات. كفانا إساءة لمصر، وسمعتها العلمية.. فالأمر جد خطير، وليت التعليم العالى "ووزيره" يضعون القضية تحت السيطرة قبل فوات الأوان!

.. إنه عصر الأكاذيب الأمريكية الكبرى!

لأمر ما تكون "وسائل الميديا" هى الهدف الإستراتيجى الأول الذى تضعه أى قوة انقلابية (فى أى دولة) فى اعتبارها بحيث يكون فرض السيطرة عليها على رأس أجندتها لأنها تعلم أن امتلاك "المعلومة" شيء مهم، والسيطرة على "حواس" الشعوب شرط أساسى لنجاح أى فكرة أو مخطط.

ولذلك تأتى "الدعاية" أو "الإعلام" أو "الميديا" ضمن أدوات السياسة الخارجية لأى دولة جنبًا إلى جنب مع الدبلوماسية والحرب.

وإذا تأملنا مجمل الأحداث الإقليمية والدولية القريبة وخصوصًا الحرب الأمريكية على العراق لوجدنا أن وسائل "الميديا" هى المتورط الأول فى هذه الحرب.

ولذلك تم فبركة أكاذيب عديدة شملت أسباب الحرب ونتائجها على السواء بهدف خدمة الفكر الإمبراطورى الأمريكى الذى يريد أن يسيطر على العالم من أقصاه إلى أدناه امتثالًا لمقولة مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة "العالم لنا.. العالم للأمريكان"!

والثابت اليوم أن هدف أمريكا من الحرب الضروس التى شنتها على العراق لم يكن إسقاط نظام صدام حسين أو نزع أسلحته للدمار الشامل، حسبما تروج أبواقها الدعائية والإعلامية بكل وسائل الميديا، وبشتى اللغات، وفى كل بقاع الأرض، لأن هدفًا "متواضعًا" كهذا ليس فى حاجة إلى تعبئة كل هذه الحشود والعتاد (ربع مليون جندى أمريكى وبريطاني) فى المنطقة، خصوصًا إذا علمنا أن لجان التفتيش الدولية أكدت أن العراق "خال" من أسلحة الدمار الشامل، ثم أن إسقاط نظام صدام

حسين هو أمر قد تحققه فرقة صغيرة فى زمن قصير ثم ينتهى الأمر..

لكن لأن الهدف كان هو احتلال العراق.. فكان لابد من تسويق الأكاذيب، وترويج الحجج والأعذار فى كل وسائل الميديا، لكسب الرأى العام الأمريكى والعالمى إلى صف الحرب.

وحول نفس المعنى يؤكد الخبراء الإستراتيجيون أن العراق لو كان يصدر "طماطم" أو "تفاحًا" لما كانت اهتمت به أمريكا لا من قريب ولا من بعيد، ولكن لأنه يصدر "النفط" ويتحكم بشكل أساسى فى أسعاره، فكان لابد من احتلاله، واستغلال ثرواته لتضخ القوة- فى النهاية- فى شرايين الدولة العظمى فى العالم.. فضلًا عن أمريكا – فعلًا لا قولًا - تتحكم فى هذه السلعة الإستراتيجية فى العالم (النفط).

والحقيقة التى لا ينكرها أحد هى أن رحيل صدام حسين هو جزء أساسى من خطة شاملة تستهدف تغيير أو "إعادة صياغة" منطقة الشرق الأوسط. فأمريكا المنتصرة فى الحرب الباردة (ثم فى حرب الخليج الثانية) رسمت موقفها السياسى فى منطقة الشرق الأوسط انطلاقا من هذه النجاحات.. والصورة المأمولة هي: أن تكون هناك سوريا ضعيفة، والالتفاف حول إيران لضمان الحدود الشمالية لإسرائيل، وإسقاط نظام صدام حسين لتحل محله قوة إستراتيجية قوامها تحالف تركى إسرائيلي.. وهذه الصورة مرهونة بتحرك أمريكى حاسم لاحتلال العراق.

وبالتالى رأت الإدارة الأمريكية أن وجود "عراق قوي" تحت قيادة صدام حسين هو أمر يشكل خطورة بالغة لكل المصالح الأمريكية فى المنطقة ليس فقط بسبب الأفعال التى يمكن أن يقوم بها ولكن أيضًا- وهذا هو الأهم- لأن بقاء صدام فى موقعه سيكون دليلًا على عدم قدرة أمريكا على متابعة سياساتها الطموح فى العالم..

ولم يغب عن بال قادة أمريكا أن الهدف الأسمى وهو احتلال العراق، يحتاج إلى جيش من الإعلاميين تكون مهمته التمهيد لهذا العمل بنشر الأكاذيب، وتزييف

الحقائق.. وكما يقول دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأمريكى بات يتعين على الصحافة ألا تكون لها مهمة أخرى غير ترويج الأكاذيب ويذكر أن هناك مكتبًا ملحقا بالبنتاجون يشرف عليه بنفسه مهمته الأساسية بث الأكاذيب المختلفة على الكوكب الأرضى قاطبة.

وهناك وحدة تعرف باسم "وحدة التأثير الإستراتيجي" ميزانيتها عشرات الملايين من الدولارات قامت بتوقيع عقد بحوالى ١٠٠ ألف دولار شهريًا مع شركة اتصال تعرف باسم "ريندون جروب" تعمل فى مواقع استشارية لعدد من دول الخليج وتتعاون مع جهاز المخابرات الـC.I.A والمعارضة العراقية معًا.. وتتعامل هذه الشركة مع صحفيين وكتاب فى الشرق الأوسط، والعالم العربى وآسيا وأوروبا، فتعطيهم رسائل صحفية، وتعليقات وتمدهم بالمعلومات التى تتوافق مع أمنيات ورغبات الإدارة الأمريكية وتفعيل الخيارات الخاصة بالحرب والإستراتيجية الأمريكية فى بلادهم فى مقابل رواتب شهرية تصل إليهم بطرق خفية حتى لا يفتضح أمرهم ولضمان ولائهم وانحيازهم التام لكافة الطروحات الأمريكية.

ولقد أثير حديث حول هذه الوحدة (وحدة التأثير الإستراتيجي) بقدر ما يؤكد أنها ألغيت لكن رامسفيلد عاد ليؤكد أن إلغاءها ثم (على الأوراق) لكنها لا تزال تمارس أنشطتها.

وكانت "لوس أنجلوس تايمز" تحدثت عن خطط احتكار المعلومات وأشارت إلى إدارة المعلومات الموجهة إلى العامة ورقابة المصادر الصحفية، والسيطرة على الرأى العام.. وذكرت أن هناك رسائل إعلامية تهدف إلى ترويج سوء الفهم.. وأوضحت أن وحدة التأثير الإستراتيجى تقوم بتسريب معلومات لكى تبتلعها الصحافة الأمريكية والعالمية لخدمة المصالح الأمريكية.

"أيا كان الأمر" ومهما كانت قوة الدعاية التى تبثها الولايات المتحدة، فالمحقق أن الحرب التى دارت رحاها فى العراق، لم يكن من هدف لها سوى احتلال هذا البلد العربي، ليكون نقطة انطلاق للمخطط الأمريكى الخاص بإعادة تشكيل منطقة

الشرق الأوسط واحتكار القرار الدولى لأطول مدة ممكنة والبقاء سيدة العالم بلا منازع!

كما أن ضمان أمن إسرائيل هو أحد الأهداف التى ترمى إليها أمريكا من وراء هذه الحرب.

بمعنى آخر: إن الحرب الأمريكية فى العراق هي- فى الواقع- كوكتيل حروب: حرب عسكرية، وحرب إعلامية، وحرب نفسية، يديرها البنتاجون خصوصًا عبر وحدة التأثير الإستراتيجى التى يقودها دونالد رامسفيد وزير الدفاع بنفسه ومهمتها تزييف الحقائق وتسريب المعلومات الكاذبة لكى تبتلعها الصحف الأمريكية والعالمية.

وما يحدث- بين وقت وآخر- من تضارب حول مصير أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى والشرائط المسجلة التى يقال إنهما يبعثان بها.. كل ذلك ليس إلا من قبيل الأخبار المزيفة التى يروجها البنتاجون عبر وحدة التأثير الإستراتيجي.

ولعل أخطر الحقائق التى تم تزييفها إعلاميا حتى كادت تصبح حقيقة راسخة مع "أنها فى الأصل" أكذوبة كبرى، هى حقيقة أحداث الحادى عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ وهل هى بالفعل من صنع أسامة بن لادن مؤسس تنظيم القاعدة.الإرهابي، أم أنها من فبركة المخابرات الأمريكية بكافة أنواعها؟

الراجح أنها من صنع الأخيرة (أى المخابرات) ولقد صدرت عشرات الكتب فى أوروبا وأمريكا ترجح هذه الفرضية لكن الميديا الأمريكية ترفض ذلك شكلًا وموضوعًا، وتزعم أن أصابع أسامة بن لادن هى التى تقف وراء هذا الحادث الذى هز العالم هزًا عنيفًا.. بل وتغضب الحكومة الأمريكية إذا ما تحدث الآخرون عن فكرة المؤامرة التى حاكتها الإدارة فى البيت الأبيض لتخلق بذلك الحجة أو الذريعة لكى تغزو العالم، وتحتل من مناطقه كما تشاء. ولعل أول كتاب صدر فى هذا الشأن كان لكاتب فرنسى يُدعى تيرى ميسان وهو بعنوان "الخديعة الكبرى" لكن قامت

الدنيا فى أمريكا ولم تقعد، وحاولت احتواء الكتاب بعد أن صدر بعدة لغات ومنها اللغة العربية، وكتب ديفيد وولش السفير الأمريكى فى القاهرة وقتذاك محتجًا على الصحف المصرية التى تفسح المجال لشرح فرضيات وأفكار هذا الكتاب.. بل وقفت أمريكا وراء إغلاق مركز الشيخ زايد للأبحاث والذى كان أول من ترجم كتاب "الخديعة الكبرى"، ودعا المؤلف لإجراء نقاشات معه، أصدرها المركز لاحقا فى كتاب.. بمعنى آخر إن أمريكا تقود إلى جانب حربها العسكرية فى العراق، حربًا إعلامية فى كل الاتجاهات بهدف الوقوف فى وجه الحقائق، حتى يتسنى لها ترويج أحداث ١١ سبتمبر فزعمت أن هناك مجموعة تضم نحو ٢٥ شخصًا من الطلاب العرب يتدربون على قيادة (بل وخطف) طائرات الركاب.. وتحدث ضابط أمن أمريكى عن شكوكه فى أن يكون لهؤلاء "صلة ما" بأسامة بن لادن زعيم تنظيم القاعدة فى أفغانستان إلا أن جهاز ال C.I.A لم ير فى هذا القول ما يكفى من الدوافع والأدلة لوضع شكوك هذا الضابط الأمريكى موضع فحص وتمحيص!!

وكانت أجهزة أمنية لنحو خمس دول هي: (روسيا، ومصر، وإسرائيل، وفرنسا وألمانيا) حذرت أمريكا من وقوع هجمات على أماكن بعينها داخل الأراضى الأمريكية.. ففى يونيو ٢٠٠١ بعثت المخابرات الألمانية بتقرير سرى تذكر فيه بالحرف الواحد أن إرهابيين قادمين من الشرق الأوسط لديهم نية خطف طائرات لمهاجمة رموز مهمة داخل أمريكا، لكن جهاز ال C.I.A الأمريكى لم يُعر هذا التقرير الألمانى أدنى اهتمام.

وثمة واقعة مؤكدة هى أن الرئيس الروسى بوتين كلف معاونيه بإرسال تحذير إلى الحكومة الأمريكية من أحداث إرهابية يتم التخطيط لها وتستهدف مواقع حساسة فى نيويورك وواشنطن وتحدث ضابط روسى كبير إلى نظيرة الأمريكى عن عمليات انتحارية لضرب أمريكا..

وفى مقابلة صحفية قال بوتين: إننى مندهش من رد فعل واشنطن إزاء

التحذيرات التى لفتنا نظرها إليها لقد هز قادة أمريكا أكتافهم فى سخرية ولا مبالاة وكانت إجابتهم غريبة عندما قالوا: لا نستطيع أن نفعل شيئًا ما، لأن نظام طالبان يرفض أن يطرد أسامة بن لادن.

ويرجح رجال الإستراتيجيا القول بأن هذه الردود من الجانب الأمريكى التى لم تأخذ كل هذه التحذيرات على محمل الجد، هى أمر مخطط له سلفًا، لأنه يخدم الأهداف الأمريكية فواشنطن تريد أن تقع "الكارثة" لكى تتذرع بها كدولة جريحة تريد أن تنتقم لنفسها دون أن يعترض أحد عندما تحرق الأخضر واليابس لاحقًا.. (وهو ما حدث بالفعل فى العراق).

وهكذا كانت وسائل "الميديا" مرتكزًا أساسيًا للمخطط الأمريكى عن طريق نشر الأكاذيب وأهمها أن أمريكا جاءت لتحرير العراق وليس لاحتلاله.

obeikan.com

أقسم أن تنظيم القاعدة "مخترق" أمريكيا!

فى متابعتنا (شبه اليومية) لما يصدر عن تنظيم القاعدة الإرهابى من بيانات وتصريحات سواء التى كانت منسوبة إلى قطبه الأول (أسامة بن لادن) أو قطبه الثانى أيمن الظواهرى ننسى أن هذا التنظيم هو فى الأصل - فكرة أمريكية محضة - وإن جميع شخوصه الذين يملؤون الشاشات والفضائيات "مُهددين ومتوعدين" كانوا تلاميذ فى مدرسة المخابرات الأمريكية العريقة تعلموا على أيدى أساطينها من (ضباط الأمن والجوسسة) فنون القتل والذبح وسفك الدماء..

نعم لا ننسى كل ذلك، ونلهث وراء الميديا التى تحرك معظم خيوطها (فى بلادنا وخارجها) مجموعات أمريكية أو متأمركة ونتصور أن أمريكا بالفعل جادة فى صدامها مع من تسميهم بالإرهابيين مع أننا لو أمعنا النظر فى خطابات وتصريحات رموز الإرهاب العالمى لاكتشفنا عجبا!!

فالرسالة السياسية التى تتضمنها هذه التصريحات من حيث المضمون هى "لا تخدم غير السيد الأمريكي".. كما أن المتأمل فى توقيت إذاعة هذه البيانات سوف يدرك على الفور أنه توقيت يخدم - بشكل مباشر وفاعل - المخططات الأمريكية وهو ما يجعلنى أجزم (بل أقسم) أن هذا التنظيم الذى يدين (بقضه وقضيضه) إلى الأمريكان ليس أكثر من أداة فى يد الولايات المتحدة تحقق به جزء من إستراتيجيتها الرامية إلى الهيمنة ووضع اليد بقوة على مقدرات النفوذ والسلطة فى العالم..

ومن يك فى شك مما أقول فليشرح لى معنى أن يربط تنظيم القاعدة فى العراق بين إطلاق سراح بعض الرهائن الفرنسيين وبين سماح فرنسا للبنات المسلمات بارتداء الحجاب!

أو معنى أن يتحدث فجأة أيمن الظواهرى عن دعمه لحزب الله وحسن نصر الله مع أنه لم يثبت- فى أى وقت من الأوقات- أن ثمة صلة أو تعاطفا بين التيارين والرجلين..

أو معنى أن يتحدث أسامة بن لادن فى الذكرى الخامسة لأحداث ١١ سبتمبر مشددا على ضرورة مواصلة الكفاح ضد الأمريكان والغرب وضربهم فى عقر دارهم..

أو معنى أن يصرح أيمن الظواهرى الرجل الثانى فى تنظيم القاعدة كما نعرف بأن حرب الأمريكان لن تنتهى وتوجيه اتهامات بالجملة إلى بابا الفاتيكان مؤكدا أن تورطه فى تعليقات معادية للإسلام ولنبيه الكريم إنما يؤكد أن حربا صليبية تشن- فعلا لا قولا- على المسلمين.. ثم تناوله لقضية (دارفور) ورفضه إرسال قوات دولية إلى هناك..

أقول- وألفت الانتباه سريعا- إلى أن كل هذه المواقف التى يعبر عنها (تصريحا) تنظيم القاعدة لا يخدم غير الأمريكان الذين أقاموا إستراتيجيتهم الخاصة بمكافحة الإرهاب على اعتبار أن (القاعدة) تمثل تهديدا لأمنهم القومي.. وهى عندما تهدد بضرب أمريكا من الداخل- وتقاوم مخططاتهم الاحتلالية فى الخارج، وتقف على طرفى نقيض مع المواقف الأمريكية.. كل ذلك إنما يصب فى النهاية فى رصيد الإدارة الأمريكية التى رأت- وهو ما يحدث بالفعل- أن تبنى مجدها على ما يسمى بإستراتيجية مكافحة الإرهاب..

وهنا قد يطيب لى السؤال التالي:

هل من مصلحة أمريكا اليوم أن تعلن انتهاء خلايا تنظيم القاعدة؟

بالطبع "لا" لأن هذا تنظيم يجب أن يبقى فزاعة تخيف به العالم- كل العالم- فليس من قبيل المصادفة أن أى حادث عارض يجرى فى جنوب أفريقيا- أو فى هايتى أو سيبيريا لابد أن ينسب على الفور- إلى تنظيم القاعدة.. بمعنى آخر أن

مصلحة واشنطن أن يظل هذا التنظيم (بكافة رموزه وأجياله المتعاقبة) باقيا لتظل فرائص الدول فى أقاصى الدنيا وأدناها ترتعد خوفا منه.. ومن ثم لا تتردد فى أن تطلب الحماية من (سيد العالم).

فى إطار هذه الرؤية الأمريكية لدور ووظيفة تنظيم القاعدة يتعمد رجال الأمن والجوسسة الأمريكيين استحضار (أسامة بن لادن) إما فى صورة المريض الذى يعانى مرضا عضالا وإما فى صورة المتوفى الذى أجهز عليه مرض التيفود، وإما فى صورة المتحدث معلقا على أحداث تجرى هنا وهناك فى المنطقة والعالم..

ولا يخالجنى شك فى أن إظهار تنظيم القاعدة عبر أجيال قيادية مختلفة أمثال الظواهري، أو الزرقاوي، أو أبو حمزة المصرى وآخرين.. إنما يؤكد أن واشنطن تدرك أن أسطورة أسامة بن لادن يجب أن تبقى شاخصة فى الأذهان، ولا تغيب لحظة واحدة عن "عقل العالم" إن لم يكن فى شخص أسامة بن لادن فمن خلال شخوص رفاقه وتلاميذه ومريديه..

أقول وأكرر (ما أقسم عليه) وهو أن تنظيم القاعدة الذى تعلن أمريكا الحرب عليه وتقوم بتجييش الجيوش ضده قد خدم إدارة واشنطن "ولا يزال" خدمة جليلة فهو صنيعها- لا جدال- وحجتها، ومخلب قط فى يدها، تخيف به هذا النظام، وهذه الدولة، وتلك الحكومة.. لكنها تبدو أمام العالم فى صورة المحارب الذى لن يهدأ حتى يتمكن من تجفيف منابعه، والحقيقة أنها تمده بكافة الوسائل العسكرية والمادية، وليبقى مجاهرا بعدائه لها. فتكسب ما تكسبه من دعم العالم وتعاطفه (أو خوفه لا فرق) معها.. وأكاد أقول أن هذا التنظيم (تنظيم القاعدة) ليس بهذه الدرجة من الدقة والأحكام والانتشار على نحو ما تصوره المخابرات الأمريكية.. هو أضعف وأكثر هشاشة مما نظن، لكن تضخيمه والتهويل من أمر خطورته إنما يخدم أمريكا وحدها.. ولذلك لن يموت هذا التنظيم ما دام يقوم بالوظيفة المنوطة به.. وقناعتى الراسخة هى أن رجال الأمن الأمريكى اخترقوا- فى براعة- هذا التنظيم وزرعوا من زرعوا من رجال وأجهزة، فى أعماق أعماقه، بل ووصل بعض رجالهم إلى مواقع

قريبة من قادة التنظيم وشغلوا مواقع المستشارين لهم..

لذلك تصدر المواقف عن الظواهرى وأعوانه فى توقيتات، ومناسبات لا تخدم غير الإستراتيجية الأمريكية.. لهذا أقسم أخيرا أن تنظيم القاعدة أصبح تنظيما أمريكيا صميما وإن ارتدى قادته "الجلباب" واعتمروا "بالعمامة" وتدلت من بين أيديهم "المسبحة".

obeikan.com

١١ سبتمبر: مؤامرات ونظريات

تحتفل أمريكا والعالم كل عام بأحداث ١١ سبتمبر ويذكر الجميع الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش خرج علينا ذات مرة بأكذوبة أخرى- ضمن سلسلة أكاذيبه يقول فيها إن العالم أصبح أكثر أمنا واستقرارا عن ذى قبل.. مع أن الأعشى والأعمى والبصير على السواء يعلمون أن العالم أصبح أكثر تهديدا وفوضى وأن أحداث ١١ سبتمبر قد أخرجت الإرهاب من القمقم كما اتسعت دوائر كراهية أمريكا فى أنحاء العالم، وتوهجت نيران الاسلاموفوبيا أى الخوف من الإسلام والمسلمين.. كل ذلك يتأثر- بل أكاد أقول باطمئنان- بتخطيط من سيدة العالم أمريكا العظمى.

اللافت للنظر أن "الفرضية" التى ترى أن فريق المحافظين الجدد فى البيت الأبيض هو الذى أعد ودبر خطط لأحداث ١١ سبتمبر قد خفت صوتها فى العالم إلا داخل أمريكا ذاتها، فلقد احتشد الآلاف من الأمريكيين فى مكان البرجين المدمرين يرفعون شعارات تدين الرئيس بوش ورفاقه وتؤكد مجددا أن هذه الأحداث الإرهابية هى من صنيع أيديهم لكى يكون لديهم المبرر فى السيطرة على العالم (كل العالم).

ولابد من التذكير بموقف السيد ديفيد ووتش مساعد وزيرة الخارجية وقتئذ لشؤون الشرق الأوسط- عندما كان سفيرا لبلادة فى القاهرة- إذ غضب غضبة شديدة- بسبب ترجيح الميديا المصرية وخصوصا الصحف- لفرض المؤامرة التى حاكها المحافظون الجدد وأفرزت أحداث ١١ سبتمبر.

كما لابد من التذكير أيضا بإصرار واشنطن على إغلاق مركز الشيخ زايد

بالإمارات العربية بسبب حفاوته بمؤلف كتاب الخديعة الكبرى (الفرنسى تيرى ميسان) الذى فصح بالأدلة والقرائن والبراهين هذه المؤامرة التى ألصقتها واشنطن بتنظيم القاعدة الذى صنعته أمريكا بالأساس ليحقق لها أهدافها فى أفغانستان.

والحق أن الأطروحات التى قدمها الفرنسى تيرى ميسان ليست الوحيدة التى تسدد أصبع الاتهام فى صدور قادة البيت الأبيض ولكن هناك عشرات الكتب التى صدرت فى العالم منها كتاب ١١ سبتمبر "مؤامرات ونظريات" لمؤلفه الألمانى ماتياس بروكر الذى يضع- ببراهينه التى لا تقبل الدحض- حبل المشنقة حول عنق عائلة بوش بالكامل!

فيذكر أن (بوش الجد) موَّل هتلر النازى ثم ساعد الجيش الأمريكى على التخلص منه لاحقا.

أما (بوش الأب) فلقد فعل الشيء نفسه مع صدام حسين، فهو الذى سلحه وموله وأوحى له بفكرة احتلال الكويت، ثم شن الحرب عليه بعد ذلك.

وبحسب الكاتب الألمانى ماتياس بروكر فإن (بوش الابن) قد سار على نفس الطريق فالصغير قبل الكبير يعلم أنه كون ثروته بالتعامل مع أسرة بن لادن السعودية واشتغل- كرجل أعمال- فى أساطيل شحن ونقل النفط عبر السفن العملاقة.

ولم يمنعه تعاون هذه الأسرة معه من مطاردته لابنها (أسامة) الذى أخذه فى البداية ودربه داخل جهاز ال C.I.A وقدم له السلاح والصواريخ واطلقه ليحارب (بالنيابة عنه) العدو السوفيتى الأحمر فى أفغانستان..

وبعد أن انتهت مهمته، كان لابد من أن ينقلب عليه انقلاب السحر على الساحر.

إذن نحن أمام مؤامرة تم تدبيرها بدقة تبدو فيها أمريكا ضحية الإرهاب، فيكون ذلك مبررا لها فى أن تنتقم ممن تشاء، وتستحدث حروبا استباقية تجهض بها كل

القوى التى تتشكك فى نواياها وتخشاها.. لتبقى أمريكا سيدة العالم بلا منازع.

الغريب والعجيب أن واشنطن مثلما برعت فى حبك هذه المؤامرة التى زيفت فيها الحقائق فقد نجحت بالفعل فى تخويف وإرباك الدول التى ترجح كفة المؤامرة ودأبت من خلال وسائل الميديا التابعة لها على تشويه الأحداث.

وهو ما يسميه مفكرو السياسة والإعلام "فن البقاء سيدا" لكن هيهات..

فالتاريخ الإنسانى لن يقف عند أمريكا وإنما ستتواصل حلقاته لتضع بوش ورفاقه وراء القضبان بتهمة الإجرام فى حق الإنسانية.

obeikan.com

إخوان "الحقد" وخلان "التآمر" على مصر!

يذكر المفكر الجزائرى المعروف "محمد أركون" لحظتين مصريتين الأولى يحمل التقدير لها، والثانية يحمل عليها. أما الأولى فهى مؤلفات محمود عباس العقاد التى كان يتم تسريبها إلى الجزائر لكى يقرأها الثوار (وخصوصا المؤلفات الدينية).. ويقول كان العقاد يوقظ فيهم العقيدة الدينية "الإسلامية" التى دأب الاستعمار الفرنسى على طمس ملامحها فى إطار خطته الثقافية التى كانت تهدف إلى تذويب الشخصية الإسلامية للشعب الجزائري..

ولذلك كان الاستعمار الفرنسى يعاقب كل من يتم ضبط سلسلة العبقريات أو الدراسات الإسلامية الأخرى التى وضعها العقاد.. ويضيف أركون: هذه اللحظة الفكرية (المصرية ساهمت فى ربط الشعب الجزائرى بأصوله الدينية، كما كرست صلات "العروبة والقومية" داخل الجسد الجزائرى فكأن مصر كانت (حائط الصد) الذى حمى الجزائر من مؤامرة الاستعمار الفرنسى الذى كان يزعم أن الجزائر (امتداد) لفرنسا على شاطئ المتوسط (الجنوبي).

أما اللحظة الثانية التى يحمل عليها البروفوسيور أركون فهى اللحظة التى امتد فيها فكر (الإخوان) إلى الجزائر.. وهو فكر أحادى ومنغلق وأناني، ولا هدف له سوى الوثوب إلى مقاعد السلطة.

ويؤكد أركون أن جذور الفكر المتطرف للجماعة الإسلامية المسلمة تعود إلى الفكر "الإخواني".. وكان الإخوان يتحملون مسؤولية حالة الإرهاب والعنف" التى يكتوى بنارها الشعب الجزائرى طوال العقدين الأخيرين.

ومما أذكره أن أركون كان يتحدث فى غضب عن الفترة التى أمضاها نفر من الإسلاميين المصريين وعلى رأسهم (الشيخ محمد الغزالي) الذى سلمته القيادة السياسية عقول وقلوب الشعب الجزائرى ليعبث فيهما كما يشاء.. وقد ظل على هذا الحال سنوات عديدة، ولذلك جاءت الثمار "فجة" وهى تلك التى نجنيها اليوم. ويقول أركون فى حزن.. لقد شاءت أقدارنا أن تفيء مصر (الشقيقة الكبرى) علينا بأمرين أولهما حلو، وثانيهما مر.. وخطورة هذا الشيء الثانى أنه مستمر حتى اليوم، ويبدو أنه سيبقى طويلًا لأن شبكات الإخوان تدعمه، وتتواصل معه بكافة السبل!

ما يقوله محمد أركون بشأن هاتين اللحظتين المصريتين فى حياة الجزائر يكاد يتشابه مع ما يراه مفكرون آخرون فيما يتعلق بتأثير مصر فكريا وثقافيًا على شقيقاتها العربيات خصوصًا فى هذه المرحلة التى تكشف فيها الجماعة المحظورة- دون خجل- عن أنيابها التى تريد أن تفترس بها الصغير قبل الكبير بدعوى (الإسلام هو الحل..)

ويعتمد الفكر الإخوانى أو بالأحرى الخبث الأخوانى على أن أحدًا ليس بوسعه أن يرفض أن يكون الإسلام هو الحل لكافة قضايانا الدنيوية...

لكن التسليم بذلك يعنى أننا أمة تعيش بلا "دين" وهو أمر غير صحيح، فالشعب المصرى دون سائر الشعوب، تلعب العقيدة الدينية دورًا غائرًا وعميقا فى حياته حتى فى زمن الفراعنة التى لم يكن إنشاء إحدى معجزات الدنيا (الأهرامات) سوى تجسيد حقيقى لعقيدة البعث والنشور والجزاء والعقاب والحياة الأخرة..

وهى مفردات لم تبعد كثيرًا عن المعانى الإسلامية الخاصة بالحياة بعد الموت.

ثم يطرح هذا الشعار سؤالًا مهما.. لئن كان الإسلام هو الحل، فأى إسلام يريد الإخوان.. هل هو ذلك الدين الذى يفرضونه فرضًا على البشر أجمعين، من منظور رؤيتهم فقط. بمعنى هل من حقهم أن يضعوا تصورًا للإسلام لا يكون مسلمًا من يرى تصورًا آخر غيره.

وهل من حقهم أن يجتهدوا ثم يحرموا الآخرين من الاجتهاد.. ثم كيف يستقيم ذلك مع القاعدة التى تقول: إن الاجتهاد فريضة إسلامية؟

أم أن الإخوان يريدون اختزال الإسلام (هذا الدين الحنيف) فى الإخوان وكفى؟!

ويبدو- للأسف- أن الأمر كذلك.. فعندما قتل الإخوان النقراشى باشا رئيس وزراء مصر فى مرحلة ما قبل الثورة، إنما كان لاختلافهم حول مفهوم الإسلام..

ويذكر الجميع أن عباس العقاد حمل حملة شعواء على الإخوان فى ذلك الوقت، وقال: نحن لنا عقول مثلما أن للإخوان عقولًا.. وإذا كان من حقهم الاجتهاد، فلنا أيضًا نفس الحق!

وهذا معناه أن أزمة الإخوان تكمن فى داخلهم.. فهم يرون أنهم- وحدهم- المسلمون، وما عداهم فليسوا بمسلمين على الإطلاق.

وعندما يرفعون شعار الإسلام هو الحل، فكأنما يتعين على العالم- كل العالم- أن يسلم لهم بالقيادة ثم يخرط كالقطيع، ينفذ التعليمات التى تصدر إليه.. ولعل هذه الرؤية العنيفة التى يتعامل الإخوان- من خلالها- مع البشر هى التى أقنعتهم بأنهم قوم أعلى وأغلى من البشر.. ولم لا، أليسوا هم الذين نيطت بهم- ولست أدرى كيف؟! مهمة إنقاذ البشرية من الجاهلية الحديثة التى نحياها- من وجهة نظرهم- وهم بذلك يريدون القول: إن السلف الصالح والصحابة المكرمين، ومن قبلهم الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، كانت مهمتهم إنقاذ البشرية من الجاهلية القديمة.. وها هم اليوم يواصلون المسيرة، ولذلك كان عليهم إنقاذ العالم من جاهلية "القرن العشرين" والحادى والعشرين"

مشكلة الجماعة المحظورة هى أنها تتعامل مع شعب مصر (بكافة أطيافه وشرائحه، وبعلمائه، ومفكريه، ومثقفيه) وكأنه مجموعة من الصبية أو الصغار الذين لم يبلغوا بعد سن الرشد.. وبالتالى يتعين قيادتهم إلى حين يريدون..

وهي- لعمري- نظرة خاطئة ليس فقط لأنها فجة ومعيبة وعارية من الصواب ولكن أيضًا لأنها تفضح سيناريو الوثوب للسلطة الذى يدغدغ مشاعر وحواس الإخوان منذ زمن..

ومرة أخرى مؤكدًا أن للإخوان (مخططًا) لا يقل خطورة عن مخطط الموساد الإسرائيلي، ومخطط تنظيم القاعدة.. فالطموح المشترك هو طموح سياسى بالدرجة الأولى، والأداة هى أكاذيب- وألاعيب لا تنطلى على عاقل.. والإخوان وغيرهم ينتهزون غياب التوعية السياسية لدى الشباب ويريدون قطع الطريق على الأصوات العاقلة التى تدعو أطياف الأمة إلى المشاركة السياسية فى الإصلاح، والتعديلات ورسم صورة مشرقة لمصر "غدا وبعد غد".. ولكن هيهات أن يتحقق لهم ذلك..

obeikan.com

تفاؤل عربى فى غير موضعه!

كلنا يذكر كم التفاؤل الذى غمرنا جميعا عندما جلس باراك أوباما على مقعد رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، خصوصا أنه جاء فى لحظة كان الغضب العالمى بلغ الحلقوم من إدارة جورج دبليو بوش ورفاقه من المحافظين الجدد التى جعلت منحنى كراهية أمريكا يرتفع إلى درجات لم يصل إليها قط من قبل.. أما ضحاياه فيعدون بالملايين فى العراق وأفغانستان وفلسطين وعن السياسات الظالمة فالحديث إذا بدأ فلن ينتهي.. ولذلك كان أوباما فى نظر العالم- وتحديدا فى الشرق الأوسط- بداية لصفحة جديدة فى السياسة والعلاقات الدولية.

وعندما زار الرجل تركيا وتحدث هناك حديثا لا يخلو من عاطفة تجاه العالم الإسلامي، ورؤية معتدلة تجاه العرب أثلج ذلك صدور الكثيرين وبدأت تسرى فى الناس نغمة أننا أمام حاكم من نوع خاص للتاريخ والإنسانيات مكان رحب فى صدره.. أما حديثه الخلاب تحت قبة جامعة القاهرة، وخطابه الذى وجهه إلى العالمين العربى والإسلامي فكان حديث القاصى والداني، وجد فيه رجال السياسة ما يتمنون سماعة، ولقى فيه رجال الاستراتيجيات مقصدهم، وعثر فيه دعاة السلام على حقائق ظنوها غابت، فإذا بها لا تزال تنبض بالحياة..

ولقد بالغ الكثيرون فى منطقة الشرق الأوسط فى التعاطى مع خطاب أوباما، فمنهم من اعتبره إيذانا بفتح جديد فى السياسة الدولية انطلاقا من عوامل عرقية. باعتبار أن أوباما هو شخص ملون وسليل أسرة كانت فى الأصل مسلمة، وهو ما يعنى أن الرجل سيحفظ لكل الشعوب قدرها، ويتعامل مع الدول الأخرى- وخصوصا الصغيرة منها- من منظور العارف بالتاريخ والثقافة والحضارة.. ومنهم

من اعتبره (نبيا) أرسلته العناية الإلهية ليملأ الدنيا عدلا بعد أن امتلأت ظلما وجورا.. ومنهم من رأى أن البعد الإنسانى سوف يجد لنفسه مساحة فى السياسة الدولية العالمية.. وكذلك الأخلاق ومراعاة الفضائل..

وكادت كراهية كل ما هو أمريكي، وهو الإرث الذى حمله أوباما عن سلفه بوش الابن- تنحسر دوائرها شيئا فشيئا.. وتبشر- فى ذات الوقت- بحياة لا فرق فيها بين شمال وجنوب، أو بين غنى وفقر سيما وأن أوباما أعلن فى أكثر من مناسبة أنه سيولى اهتماما من نوع خاص للمهمشين والجياع، وصرعى الحياة بشكل عام ولأن المنطقة العربية محسوبة بشكل أو بآخر على هذه المساحة من البشر، فلقد ارتفع منحنى التفاؤل بأوباما إلى أعلى عليين..

وامتلأت أرجاء المنطقة بالسعادة الغامرة عندما تحدث الرجل عن ضرورة اعتدال الموازين.. فالشعب الفلسطينى صاحب قضية عادلة- هكذا قال- وليس بالإمكان حل القضية العربية دون إلزام إسرائيل بالخضوع إلى مرجعيات السلام.. ومن رحم هذا الفكر تحدث أوباما عن ضرورة وقف الاستيطان كمقدمة ضرورية يجب أن تسبق استئناف المفاوضات.. ثم أصر على طلبه برغم معارضة إسرائيل.. وظلت آمال العرب معلقة طويلا بهذه الوعود (الأوبامية) تمييزا لها عن غيرها من الوعود الأمريكية التى قطعها رؤساء سابقون على أنفسهم.. وتابع العرب مراحل العناد الإسرائيلى الذى عبر عنه نيتانياهو رئيس الحكومة الإسرائيلية.. وكان ذلك أشبه بالمحك الذى سيتعين اختبار مصداقية وعود أوباما.. وبالإمكان القول إن (هذا الفصل) كان البداية الحقيقية لانهيار التفاؤل الذى كان قد أصبح أشبه بالصرح الكبير.

وكانت المفاجأة أن أوباما الذى أعلن القطيعة فإذا به يعود ليرتق ما انقطع فى الثوب الذى ترتديه الولايات المتحدة.. وتحدث المقربون منه خصوصا هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية عن استثناء شرط وقف الاستيطان.. وكذلك طالب مبعوثه الخاص للشرق الأوسط وقتئذ (جورج ميتشل) الذى رأى أن شرطا كهذا سيكون

حجر عثرة فى طريق الحل. والتفت العرب يبحثون عن أوباما فلم يجدوه إلا مشغولا بقضايا الداخل، وبعد عدة أسابيع أصبح الحديث عن مبدأ وقف الاستيطان حديثا ممجوجا وبات راسخا فى الأذهان أنه من الكياسة والدبلوماسية عدم الخوض فيه مرة ثانية وبالتوازى مع ذلك، حدث تراجع - بأقصى سرعة - عن مبدأ آخر كان لاح للعرب أنه سيكون خطا أحمر، لكن تبين أن أمريكا تؤمن بأنه لا ضرورة للخطوط الحمراء.. وأقصد بذلك يهودية الدولة الإسرائيلية فها هو أوباما لا يقبلها فقط بل يباركها ويحرض الآخرين على التحمس لها وثالثة الآثافى فى هذا السياق أن يتولى الرئيس أوباما بنفسه دعوة الدول العربية - جميعا - إلى التطبيع - ولو جغرافيا - مع إسرائيل.. وهو دعوة تعتبرها دول كثيرة مستحيلة، لأن الدولة العبرية لم تقدم شيئا يمكن أن تكافأ عليه بهذا التطبيع!

ووسط هذا الخضم المثير من الوعود والحنث فيها أو الالتزام بأمر ما ثم التراجع عنه خرجت علينا الخارجية الأمريكية بحديث مسهب عن انشغال أمريكا بإعداد مبادرة سلام تحمل اسم أوباما وبرعت الرئاسة الأمريكية فى تجييش وسائل الميديا فى أمريكا والعالم العربى للحديث الإيجابى عن المبادرة.. وانتظر الناس طويلا، وكانت المفاجأة أن الحديث عن هذه المبادرة "المزعومة" بدأ يخفت ويخفت حتى أصبح وكأنه لم يكن فى الأصل.

وبالتوازى مع هذه التراجعات التى ارتج لها العقل السياسى العربى ارتجاجا قويا كان صرح الآمال العريضة يتهاوى حتى أصبح أطلالا أو كاد.! والأغرب من ذلك أن صورة أوباما التى كانت رمزا للاعتدال والتوازن باتت تتماهى "وتتداخل" مع صورة سابقه جورج دبليو بوش..

يبقى أن نعترف أمام أنفسنا بشيئين الأول: أنه لا فروق كثيرة بين بوش الابن، وأوباما وأكبر دليل على ذلك أن التمييز بين سياستى الرجلين باتت صعبة خصوصا فيما يتعلق بعملية السلام وأمن إسرائيل.. وليس فى هذا الأمر غرابة لأن معظم أركان حكم أوباما هى ذاتها أركان حكم بوش الابن خصوصا داخل البنتاجون

الذى يلعب دورا مهما فى رسم وتنفيذ سياسات أمريكا الخارجية.

الثاني: هو أنه لا صلاح لأمرنا إلا بالاعتماد على أنفسنا والكف عن ترقب وصول أى شخص فى مقعد الرئاسة سواء فى أمريكا أو فرنسا أو بريطانيا أو روسيا.. وغيرها تكون مهمته إنقاذ وجه العرب من المهانة والإذلال التى تسببها إسرائيل لهم.. فما حك جلدك مثل ظفرك.. لكن العرب لا يفهمون.

obeikan.com